Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسألة ، أفتأذن لى أن أعرفك إياها ؟ قلت : هات . قال : قال الله تعالى ﴿ طلعها كأنه رءوس الشياطين ﴾[٤] وانما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله ، وهذا لم يعرف – فقلت : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مُضاجعى ومسنونه زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل ، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتابا فى القرآن لمثل هذا وأشباهه ، ولما يحتاج إليه من علمه . فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابى الذى سميته « المجاز » ، وسألت عن الرجل ، فقيل لى : هو من كتاب الوزير وجلسائه يقال له إبراهيم بن اسماعيل بن داود الكاتب »[٥] .

ومع أن أبا عبيدة لم يذكر الآية مثار السؤال فى موضعها من كتابه ، مما قد يلقى ظلالا من الشك على روايته السابقة – فإن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) قد أكد المضمون الأساسى لتلك الرواية ، من حيث تساؤل بعض الناس عن أسلوب التعبير فى الآية الكريمة ، ووصم هؤلاء المتسائلين بأنهم أهل الطعن والخلاف . وربما كان ذلك السؤال جزءا من جملة التشكيك التى شنها الملحدون والزنادقة فى ذلك العصر على العقيدة الإسلامية ، وكتابها المعجز ، وظل غبارها عالقا بالأفق زمنا ليس بالقصير . وقد أجاب الجاحظ عن السؤال ورد الشبهة المثارة ، ولم تخرج إجابته عن كلام أبى عبيدة السابق ، وإن لم يستشهد ببيت امرىء القيس كما استشهد[٦] .

وهكذا كان منحى العرب فى أسلوب التعبير هو السند الذى اعتمد عليه أبو عبيدة فى تفسير ما تناوله من آيات القرآن الكريم إيمانا منه بأنه نزل بلغتهم ، ففيه « مثل ما فى الكلام العربى من وجوه الإعراب ، ومن الغريب والمعانى » ، ومن هنا فإن كلمة « المجاز » التى جاءت فى عنوان كتابه ، أوسع دلالة وأرحب

---

(٤) سورة الصافات : آية ٦٥ ، والسياق عن شجرة الزقوم التى أوعد بها الكفار يوم القيامة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ﴾ .

(٥) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٦) انظر الحيوان (تحقيق وشرح عبدالسلام هارون) ج ٦ ص ٢١٢ وانظر أيضا الجزء الرابع ص ٣٩ .